أحاديث صحيحة من أطراف البلدة

الفرح لا يحب العيش في المدن الكبيرة (٢)

عبدالله بني عرابة*

قال لها وهما يمعنان في تهجي خرائط الجسد: فجراً سأسافر.

قالت: حسناً، لكن عد سريعاً قبل أن تموت عصافير الحديقة، ويتعكر ماء حوض السمك.

بعد سنين بعثت إليه: لقد ماتت العصافير وبقيت الحديقة، ولقد نفقت الأسماك وظل الماء صافياً فلا تتعجل العودة.

×××

دعوه يشاطر الشياطين لهوهم إذا ما كانت تلك هي رغبته الأخيرة في هذا الكون.

اتركوه يرحل مغسولاً منكم ومن أدرانكم. لقد أدرك مؤخراً أن الفرح لا يعيش في المدن الكبيرة.

دعوه يمضي الى منتهاه بروح خفيفة.

دعوه.

***

عندنا تخاف الشابة من الحديث الى شاب في سنها، إذ تتخيله هاجماً عليها بقضيب من حديد يهشم رأسها ويمزق جسدها. أما عندهم فالمشهد يختلف، فقضيب الحديد بيد الفتاة تستخدمه إذا أحست ما يستدعي استخدامه في حديث الشاب أو أفعاله، لذلك ففتياتهم يتحدثن في ثقة لا يعرف الوجل سبيلا إليها.

***

هاهم جاءوا بأعينهم القوقازية يدثرون النظارة بحركاتهم البهلوانية وألعاب أياديهم الخفيفة، أولئك العالقين فوق المقاعد تلحسهم الدهشة وتقليهم نار الريبة الهادئة، ومن ثم يتقافزون الى جحورهم وقد حققوا مآربهم في زرع البلاهات واستثارة الشهقات من الأفواه المفغورة. وعاد الآخرون معلقين حيرتهم الغائرة في رقابهم يهندسون تشظيهم الشاسع متساقطين في شراك الخدعة.

***

في مهرجان الفرح الوهمي الذي ينظمه ورفاقه كل ليلة كان مستأسداً في مأدبة الطعام والشراب. كان صوته يعلو وينخفض مع سلم الموسيقى. وكان جسده يميل ويتغضن في حركات مموسقة. وكان قلبه يتنزه بين أرخبيلات السعادة. كانوا جميعاً يقتاتون من تضاريس الوقت. فجأة تصله رسالة نصية من زوجته: حبيبي لا تنسى دواء البنت، و كيس الأرز، وصندوق البرتقال، وخيشة البصل، وعلب الحليب والزيت، ولا تنسى موعد طبيب الجلد غداً وزيارة أهلي بعد الظهر.

يتضعضع شيئا فشيئا ويبدأ في النزول من سلمه الموسيقي.

---

* as_baniarabah@hotmail.com

وجوه وظلال (٢٣)

خـدَم

مختارات – صالح العامري *

■ اللوحة للفنانة فخراتاج الاسماعيلي

خادمُ رابندرانات طاغور العجوز:

في مظهر كالشبح، كان غاية في البلاهة.

كلما افتقدنا شيئاً، كانت الزّوجة تقول: "كيسْتا، هو السارق".

كنتُ أهينه على كل خطوة، فتدخل الإهانة من أذن وتخرج من الأخرى.

كان ينال من العقاب أكثر مما ينال من المال، لكنه كان في غفلة دائمة.

كنتُ أنادي بأعلى صوتي صائحاً: "كيستا"، كلما برزتْ حاجة ملحّة.

كنتُ أصولُ وأجولُ، ولو فتشتُ البلدَ بأسره لما وجدته.

لو أعطيته ثلاثة أشياء، كان يحتفظ بأحدها، ولا يعلم أحد أين يذهب الآخران.

ولو أعطيته شيئاً واحداً، سرعان ما ينقسم إلى ثلاثة أشياء.

كان بوسعه أن ينام في أي مكان أو زمان أثناء النهار، وعندما أناديه بأسماء مهينة: "أيها الأحمق الشرير، أيها التعيس": كان يقف بالباب ويبتسم، فيفور دمي.

لكنّ التخلي عن التعلق به كان صعباً؛ فقد أقام معنا سنين طويلة.

وغالباً ما كانت سيدة الدّار يستبدّ بها الغضب فتصيح: "سأتخلى عن كل شيء لك، فدبّرْ شؤون البيت أنت وكيستا".

إنه مُحصّن ضد الملام، فهو يتلف كل شيء: الطعام، الملابس، الآنية، الأثاث، وبسببه كانت النقود تُصرف كجريان الماء.

فلو ذهب إلى السوق: تأكّدْ أنك لن تراه ثانية ذلك النّهار.

أيصعبُ إيجاد خادم آخر لو حاول المرء ذلك؟.

وهنا يستبدّ بي الغضب فأسحبه من جديلته العليا بسرعة وأصيح: "أخرجِ الآنَ. أنتَ مطرود". ويبدأ بالخروج بطيئاً فأقول في نفسي: "أخيراً انتهى الأمر"، لكنني أجده في الغداة، واقفاً و"النارجيلة" في يده.

يا له من أبله!

له وجهٌ باسم، ولا أثر للشكوى في ذهنه العنيد.

إذن إنْ كان لا يمكن أن يهب حتى ولو طرد، فليس ثمّة ما يمكن عمله معَ هذا الخادم العجوز.

تلكَ السنة، حصلت على شيء من المال، خلاَ عمل في وكالة.

فقلتُ أذهبُ في رحلة حجّ إلى "سْري برانْدافان"...

وانطلق القطار، فلما نزلتُ في "بورْدْوان" وهي محطة على الطريق وجدتُ مَن غير كيستا؟. وجهٌ باسمٌ ونارجيلةٌ في اليد.

كم من وقاحته عليّ أن أتحمل، وإلى متى؟

ولكن مهما نزلتُ عليه بالتأنيب كنتُ في دخيلتي مسروراً بمجيء الخادم العجوز.

.. كنتُ آمل أن أجد ربيعاً دائماً، والآن أنا أموتُ بمرض "باسانتا" مثل حادث في حُلم.

غادر الرفاق المكان.

انتشرت البثور على جسدي، وبقيتُ وحدي لأرعى نفسي، فرحتُ أنادي ليل نهار بصوت واهن يائس: "كيستا"، تعال هنا. انتظرتُ كل هذا الوقت لأزور مكاناً غريباً، والنتيجة أنني أحتضر.

كان النظر إلى وجهه يبعث الاطمئنان، كأنه كنز عظيم.

يودّ لو يقف إلى جانبي ليل نهار مسروراً خادمي العجوز هذا.

كان يحمل إليّ الماء، ويتمنى لي الشفاء، وبيديه يدلك لي رأسي.

بقي هناك، بلا حراك، بقليل من النوم والطعام.

كان يردد دائماً:"سيدي لا تخف، واستمع لي، أنا واثق أنك ستعود إلى الدار".

بلى، شفيتُ من علتي، ووقفتُ على قدميّ، ولكن كيستا تلقاها في جسده، وأخذ عني ذلكَ المرض المريع.

مضى يومان، وكيستا فاقد الوعي، ثم هبطَ نبضه.

حاولت مراراً أن أتخلص منه، وهذه المرة ذهب فعلاً.

بعد أيام من نهاية الحج، عدتُ إلى داري.

ومنذ ذلك اليوم ما عاد رفيقي المخلص يُرى معي أبدا.

ت. عبد الواحد لؤلؤة (طاغور، أغان وأشعار)

****

من الثلاثيةِ الإسبانية لريلكه:

"لماذا يتحتم على المرء أن يواجه أبداً

أشياء ليست له، كأنه خادم

يحمل في السوق سلة تزداد ثقلاً،

سلة تزداد امتلاء بمروره من متجر إلى آخر،

يمتثلُ ولا يجرؤ أن يسأل: "سيدي، لم هذه الوليمة؟"

ت.حسن حلمي

****

الخادم الفصيح:

حدّث أبو العيناء قال: كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أنني مررت يوماً بسوق النخّاسين، فرأيتُ غلاماً ينادَى عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً، فاشتريته. وكنت أبني داراً، فدفعتُ إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصناع، فجاءني بعد أيام يسيرة فقال: قد نفدت النفقة. فقلت:هاتِ حسابك!، فرفع حساباً بعشرة دنانير. قلت: أين الباقي؟ قال: قد اشتريتُ به لنفسي ثوباً. قلت: من أمرك بهذا؟، قال: لا تعجل يا مولاي، فإن أهل المروءة لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّين على مواليهم!. فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعيّ ولَمْ أعلم! وكانت هناك امرأة أردت أن أتزوجها سرّا من ابنة عمي. فقلت له يوماً: أفيك خير؟، قال: إي لعمري. فأطلعته على الخبر. فقال: أنا نِعم العون لك. فتزوجتُ المرأة ودفعتُ إليه ديناراً، وقلت له: اشترِ لنا به بعض السمك الهازبي. فمضى ورجع وقد اشترى سمكاً من صنف آخر. فغاظني ذلك وقلت: ألم آمرك أن تشتري من السمك الهازبي؟ قال: بلى، ولكن الطبيب أبقراط كتب يقول إن الهازبي يولد السوداء، وهذا سمك أقل غائلة! فقلت: يا ابن الفاعلة! أنا لم أعلم أني اشتريت جالينوس! وقمتُ عليه فضربته عشر مقارع. فلما فرغتُ من ضربه أخذني وأخذ المقرعة وضربني سبع مقارع، وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، والسّبْع فضل، وذلك قصاص، فضربتك هذه السّبع خوفاً من القصاص يوم القيامة!. فغاظني هذا، فرميته فشججته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي، فقال لها: يا مولاتي، إن الدّين النصيحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ غشّنا فليس منا. وأنا أعلمك أن مولاي قد تزوج فاستكتمني، فلما قلت له لا بدّ من تعريف مولاتي الخبر ضربني وشجّني. فمنعتني بنت عمي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طلقت المرأة التي تزوجتها. وقلت في نفسي: أعتقه وأستريح، فلعله يمضي عني. فلما أعتقته لزمني وقال: الآن وجب حقك عليّ. ثم إنه أراد الحج، فجهزته وزوّدته وخرج. فغاب عني عشرين يوماً ورجع. فقلت له: لم رجعت؟ فقال: فكرتُ وأنا في الطريق، فإذا الله تعالى يقول: (وللهِ على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً)، وكنتُ غير مستطيع، وفكرتُ فإذا حقك أوجب، فرجعت!. ثم إنه أراد الغزو، فجهزته، فلما غاب عني بعتُ كلّ ما أملك بالبصرةِ من عقار وغيره، وخرجت عنها خوفاً من أن يرجع!

من كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي

****

من مذكرات أندريه جيد عن خادمة مارسيل بروست:

كانت الزيارات غير مسموحة أو ممكنة أثناء النوم المألوف لمارسيل بروست في النهار أو أثناء انصرافه إلى الكتابة، وكانت تجد اعتذاراً لبقاً مهذباً من خادمته "سيليستْ ألباريه"، وقد اكتسبت هذه كلماته وعاداته، واكتسبتْ ـ لطول ملازمتها له ـ ظرفه وتهذيبه وأسلوبه في الحديث، حتى لهجته وصوته.

وفي مقابلة أجراها التلفاز الفرنسي مع هذه الخادمة المخلصة الوفية، لتتحدث عن سيدها القديم (مارسيل بروستْ)، أوردتْ طرفاً من ذكرياتها الخوالي عن بروست، بلهجة فرنسية صافية، تتخللها الصور الأدبية الحلوة. وكانت عيناها المخضلتان بالدمع تشعان، فيما كانت تستفيض في الحديث ذكاء وحيوية، واستبنتُ في معارف وجهها الذي غضنته الشيخوخة: طيبة ورقة وعذوبة. وقلت في نفسي: "أجل هذه هي المرأة الوفية التي خدمت بروست ورعته وحدبت عليه، وكتب هو في ظل عنايتها روايته "بحثاً عن الزمن الضائع" التي ترتفع، قمة شامخة من قمم الأدب العالمي".

ـ من "قمم في الأدب العالمي" لبديع حقي

****

خادمات جان جينيه:

في مسرحية (الخادمات) يقدّم جان جينيه خادمتين تقومان بتمثيل محاولة قتل سيدتهما البورجوازية، بأسلوب (المسرح داخل المسرح)، أي بوساطة الخيال والوهم. ففي مطلع المسرحية نجد مسرحاً داخل المسرح، ونقع تحت سيطرة الوهم، وتطالعنا غرفة نوم ازدانت بأثاث فخم على طراز عصر لويس الخامس عشر، وتنتصب أمامنا، بين الأقمشة المخرمة والزهور، سيدة متغطرسة ترتدي ملابسها بمعونة خادمتها، إلاّ أن المشهد لا يعدو أن يكون تمثيلاً في تمثيل، لأن السيدة هذه ليست إلاّ خادمة. بعد ذلك تظهر السيدة الحقيقية ـ وهي امرأة متبرجة ـ فأعدت لها الخادمتان جريمة القتل الوهمية. ثم تحدث، في نهاية المطاف، حادثة موت حقيقية، أيضاً على شكل محاكاة للجريمة، وكانت في الواقع انتحاراً، بمعنى أن إحدى الخادمتين تجبر شقيقتها على أن تقدم لها السم لتلقى حتفها وهي تؤدي دور السيدة. الحب والكراهية بين الشقيقتين في مسرحية جينيه "الخادمات" وحسدهن لربة المنزل الذي يعملن فيه ومحاولتهن تسميمها، كل ذلك ينقلب إلى الضد، فحين تحبط محاولة الشقيقة الصغيرة كلير في قتل سيدتها عن طريق كوب الشاي المسموم، يضطرها ذلك إلى القيام بفعل ترجيعات المرايا أو لعب الأدوار، فها هي تلعب دور السيدة إزاء شقيقتها التي يقوم بلعب دور كلير نفسها، لتسقيها الشاي المسموم كي تشربه وتموت في الآخر منتحرة. هذا الانتحار الذي يمثل من وجهة نظر كلير نوعاً من السمّو والمجد.

****

عموس في التراث الإغريقي:

هوَ خادم أوديسيوس الأمين وراعي قطعانه. أصبح اسمه مرادفاً للخادم الأمين الذي ينزل عند سيده منزلة الصديق.

****

قصيدة أنسي الحاج "الغابةُ الواعية" من مجموعته "وليمة":

عندما تُضربُ الخادمةُ في ساعةٍ مبكرة
أتذكرَ لحظة القربانة الأولى.
الخادمة إذا ضُرِبَتْ
فالشمسُ لا يهمّها
لكنّ المناولة الأولى تنكسر كالشمس.
ضَحّكوا الخادمة
الغابة الواعية في حسناء!

---

* شاعر عماني

بدعة الفن للفن

عبدالكريم الميمني*

■ الفن للفن أو الفن من أجل الفن هو اتجاه ومذهب فكري فني أدبي دعا إليه جماعة من الفنانين والأدباء المتطرفين باسم الحرية هادفين من اتجاههم هذا إلى تحطيم قيود وأغلال التقاليد التي كانت تعوق مشاعرهم للاستمتاع بجمال الحياة وجمال الفن في ذاته، دون أن يُقصد به غرضاً نافعاً، والموالين لهذا المذهب الذي ظهر في عهد الملكة فكتوريا ملكة إنجلترا خلال الفترة ١٨١٩-١٩٠١م قد غفلوا دور الفكر في معالجة قضايا الحياة، ولم يجدوا أنفسهم ولم يجدهم الناس منتجين أو متفاعلين مع روح المجتمع، وبالتالي لم يبلغوا بفنهم مراتب الفكر المتسامي. وقال أتباع هذا المذهب إن قاعدة الشعر والفنون تتمثل في الشخصية الإنسانية فقط، وهذا في نظرهم ليس معناه أن يكون الفنان مفكراً متعمقاً أو ناقداً قوي الملاحظة أو نموذجاً للفضيلة ليحيا ويشعر بمآسي الحياة، لأنه قد يخطئ وقد يفقد نقاوة سريرته، ولكن يجب أن يكون مرهف الحس للجوانب الإنسانية كلها، ومن جملتها الفضيلة والخطيئة والخير والشر وغير ذلك من الخصال المتناقضة. وبذلك نجد أن فكرة الفن للفن هي بدعة حقيقية لأنها تجرد الفنان من مسؤوليته أمام قضايا المجتمع ولم تعد وظيفة الفن في نظرهم هي التعبير عن معان وقيم أخلاقية أو وقائع اجتماعية أو دعوة إلى رؤية خصائص تشكيلية ذات مضامين تبعث إلى التفكير السامي المترفع عن الصغائر، كما أن البعض من معتنقي هذا الاتجاه لا يرون أن الفكرة الأدبية الخالصة تكفي وحدها لإيجاد البديع من الشعر أو اللوحات المصورة أو الموسيقى الشجية، بل المعول الأوحد على ذلك هي مخيلة المبدع وحده، التي يرون أن باستطاعتها إعادة ترجمة تأملات كل منهم أثناء تكامل الإحساس وتداعي المعاني بمضمون الفكرة، فتتمثل أشكالاً أو ألواناً أو كلمات أو أشعاراً لها إيقاع وأوزان وبريق ورنين كل ما للبلاغة من مقومات التعبير. ومن قولهم أيضاً أن كثير من بوارق الإلهام تصدر من الفنان عن اللاشعور، وكأنه يحيا نفس الحياة التي يصورها بفنه، أو قد يكون عمله صورة لحياة إنسان آخر ود لو أمكنه أن يحياها، أو أن يشعر بالرغبة في خوضها كتجربة فيحول بينه وبينها قصور ذاتي، ويعللون مقولتهم هذه بأن هناك الكثير من قصائد الشعر أو اللوحات المصورة أو المقطوعات الموسيقية الحماسية التي تدعو إلى الجهاد والنضال والاستشهاد والجود بالنفس وما شابه ذلك من معاني البطولة تكون صادرة عادة من شعراء وفنانين لا يعرفون كيف يحملون السلاح. وبهذه المقولة نجد أن التعبير الفني لديهم غير مشروط بحدث معين، وإن كان يتحتم أن يصدر عن إيمان ويقين وصدق.

إن هذا الاستهلال التاريخي لمضمون هذا الاتجاه سقته في هذا المقال كبصيص من قول كثير لهذا الفكر الفني والأدبي المتطرف الذي لا يقيم للفنان أو الأديب المبدع في كيان المجتمع أي تغلغل بل ينعزل به وبفنه في ذات فنه، مُشكِلاً معه حلقة تذوب في حلقة أصغر منها إلى أن تصل إلى حالة الصفر، تتأثر بعواملها الداخلية فقط ولا تعيش الحياة من حولها، جئت معرفاً بهذا الفكر من أجل أن أؤكد على أمر هام وفي غاية الخطورة وقع فيه للأسف من وقع من الفنانين القدماء في القرن التاسع عشر وفي أليفتنا الحديثة، فهناك من الفنانين الذين يعيشون بيننا ينتمون إلى هذا الاتجاه بدون أن يشعروا بذلك، فهم ينتجون الفن من أجل الفن ذاته، ويؤكدون على معاني هذه البدعة الفنية في أعمالهم تلك، وكثيراً ما سمعت بعضهم يذكر لي بقوله أنا أرسم من أجل نفسي، ولا يهمُني رأي الآخرين فيما أُنتج، وأشاهده يقيم علاقاته الفنية في أعماله حسب فكره الخاص بدون أن يكترث بمشاعر الآخرين أو اشمئزاز بعضهم من الطرح الفني الذي يقدمونه، حيث نجد البعض منهم يتعلل بعلاقات جمالية في شباك من الخيوط والحبال والمسامير وقطع الأخشاب وبقايا النفايات والكتل الضخمة من المكعبات والدوائر والمستطيلات والمواسير الصدئة والزجاج المكسور وأشياء تبدو كأنها حطام زلزال مدمر، بدون أن يكون لهذه الأشياء وعلاقتها مع بعضها البعض هدف سام أو غايات تجمع بين الفكر والجمال وتأخذ من المجتمع ألوان من الأحداث وتقدم له رأياً متزناً ذو فكر أبداعي لتأثر على فكره وتنير وجهته إلى كل فضيلة، كما أننا كثيراً ما نجد البعض من الفنانين ممن أرهقوا أعمالهم بكثرة التقنيات الفنية على المسطحات والمجسمات وتجد الواحد منهم يسعى بهوس غريب للتجريب المستمر في الخامات ويقدم لنا كل يوم تقنية جديدة بالوسائط المختلفة بدون أن يسعى إلى طرح رسالة فكرية في أعماله أو أن يكون لأعماله تأثير بارز في تعايشها مع مجتمعه، فاهتمام هذه الفئة بهذا الجانب في العملية التشكيلية أفقد المتلقي متعة التأمل في التلخيص الجميل الذي يبتكره الفنان عند التعبير عن الحقائق الشعورية والحسية لأحداث الحياة من حوله، فالفن في الحقيقة متداخل مع الحياة وينبض بنبض قلبها ويتنفس من هواء رئتها فالأعمال الفنية التي ينتجها الفنان يجب أن تعكس الحقائق النفسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ليكون لها التأثير الأقوى في مسيرة الحياة الإنسانية، فالنتاج الفني كما هو معروف عبر مسيرة التاريخ الفني هو صراع متأثر بالحياة في كل تفاصيلها وما هو إلا إفراز طبيعي لها، كما أنه فن جميل يدعو إلى القيم والفضائل في المجتمع ويعكس الحقيقة الاجتماعية بصدق وحيادية ، وعندما يفقد الفن موضوعية المعاني ذات الأهداف الإنسانية أو التاريخية أو الثقافية، يصبح من لغو الحديث الادعاء بأنها فنون جميلة، وبالتالي تنعدم الصلة بينها وبين الناس.

---

al-maimani@hotmail.com

اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وتحدثوا بأحسن ما تسمعون

إبن المقفع

الآراء والمقالات المنشورة في الملحق لا تعبر بالضرورة عن رأي

Printed at AL WATAN AL OMANEYA Printing Press
طبعت بمطابع الوطن العمانية